

أَوْبَكُ الْصِدِيقُ

رَضِيَ عَنْهُ اللَّهُ

مع الصديق رضي الله عنه - 3

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2021-06-28

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا الأنبياء وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حفأً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

التشابه بين فضائل النبي الكريم وفضائل أبي بكر:

وبعد أيها الكرام: مع اللقاء الثالث والأخير مع سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه نتعلم من مواقفه، ونتعلم من الأحداث التي مرت معه في سيرته العطرة.



أيها الكرام: اليوم أريد أن أروي قصة من قصص أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتعلق عليها وهي واردة في الصحيح. قال: لما انتلي المسلمين في مكة واسندت البلاء، خرج أبو بكر مهاجرًا قبل الحشنة، أراد أن يهاجر إلى الحبشة، هذه قيل هجرة الحبشة، حتى إذا لبع بر크 الغمام، منطقة قربية في طريقه إلى الحشنة، لقبة ابن الداغنة - وهو سيد الفارة - فقال: أين تردد يا أبي بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنني قومي، وأريد أن أسيح في الأرض، فأبى ربى، هذه سباحة من نوع خاص، سباحة راقية جداً، خروج في سبيل الله، قال: أن أسيح في الأرض فأعبد ربى، إنك - انظروا الآن إلى التعليل - تُكسيب المغذوم - إنسان لا يوجد عنده شيء تكتسيبه، تعطيه، يجعله يكتسب ويعيش - وتعمل الرحم، وتحمل الكلى - الكل: الرجل الضعيف الذي لا يستطيع القيام بنفسه فتساعده - وتقرئي الصيف - إكرام الصيف من القرى، وهو طعام الصيف - وتعين على توانب الحق.

الحياة فيها نوائب، جمع نائية وهي المصيبة، فعندما تأتي النوائب فإنك تساعد الناس وتعينهم، هذه الصفات في أبي بكر، هي نفسها التي ذكرتها خديجة رضي الله عنها يوم رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الغار يقول:

(عن عائشة رضي الله عنها أولاً ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرفيع الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل قوله ثم حَبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ، وكان يخلو بغار حراء، فيختبئ فيه - وهو التعبد - الليالي ذات العدد قبل أن ينبع إلى آهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لملتها، حتى جاءه الحق - وفي رواية: حتى فجأه الحق - وهو في غار حراء، فجاءه الملك. فقال: قلت: ما أنا بقارئ. قال: أقرأ. قال: فأخذني فغطبني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطبني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: {أَقْرَأْ يَا سَمِّ رَّبِّكَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ أَنْسَانٍ مِّنْ عَلَىٰ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْجُفَ فُوادِهِ، فدخل على خديجة بنت خوبيل فقال: زَمْلَوْنِي، زَمْلَوْنِي، فرملاوه حتى ذهب عنه الرُّوعَ. فقال لخديجة - وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك تصلِّي الرحم، وتَصْدُقُ الحديث، وتتحمل الكل، وتكتسب المدعوم، وتُقرِي الصيف، وتُعين على نوائب الحق، وتُعيِّن على نوائب الصيف، وتُقيِّن على نوائب الحزن، قالت: فوالله لا يُخزيك الله أبداً) - [آخره البخاري ومسلم]

هذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا ابن الدغنة يقول بعد ذلك الكلمات نفسها وهي تبدو كلمات عربية أصيلة، أي معروفة عند العرب، يصف بها أبي بكر رضي الله عنه، وهذه من فضائل أبي بكر أنه وصف بما وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم تماماً.



الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم

وهذا أحبابنا الكرام؛ إن دل فيدل على أن الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم، وأن الناس يحتاجون إلى المواقف لا إلى الأقوال، فموقف واحد في إعانة الناس، وفي الصدق أفضل ألف مرة من ألف محاصرة في الصدق، الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم، بين العين والأذن أربعة أصابع، لكن فرق كبير بين أن تسمع وأن ترى، فالرؤية تعلم أكثر مما يعلم السمع، ولذلك أعظم ما تربى أبناءك، والمعلم أعظم ما يعلم به طلابه القدوة، أن يفعل الفعل الحسن أمامهم، وهذا خير من أن يحدثهم عن الفعل الحسن، لأن الناس لا سبباً الصغار يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم.

فلما رأى منه ابن الدغنة ما رأى، قال له: مثلك لا يخرج، ولا ينبغي أن يُخرج، ما المواقف التي فيه؟ ما قال: إنك خطيب مفوه، وما قال: إنك رجل نسيب في قومك، ولا قال: إنك رجل لك مكانة عظيمة، وإنما قال: أنت تفعل هذه الأفعال التي فيها إعانة للناس، فماذا قال بعد ذلك؟ قال: فأنا لك جار، أي أنا سوف أجيرك، تتحمي بي، وهو سيد من سادات قومه، ابن الدغنة قال: وأنا لك جار فارجع، فاعتذر ربيك بيلاك، أنا أجيرك، قال: فارتخل ابن الدغنة، فرجم مع أبي بكر إلى مكة، فطاف في أشراف كفار قريش، طاف على الأشراف وقال لهم: إن أبي بكر لا يُخرج منه ولا يخرج، ما مثل هذا تخرجونه، إن أبي بكر لا يُخرج منه ولا يخرج، آخر جرون رجلاً يقول: إن ربى الله، إنه يُكتسب المدعوم، وبعิน على نوائب الحق، ويقرِي الصيف إلى آخره.

قال: فأنذرت قريش جوار ابن الدغنة، وأفْنَوْا أبي بكر، أنت آمن، لكن اشتربتوا فقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبا بكر فَلِيُعِنْ رَّبَّهُ في داره، ولِيُصَلِّ فيها، ولِيَقْرَأْ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يَسْتَغْلِنْ به، أي بالخفاء، بالسر، فإننا نخشى أن يَقْنَعَ أبناءنا ونساءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فوافق.

تعزيز النبي مكارم الأخلاق الموجودة عند العرب:

هنا أريد أن أعلق على أمرتين مهمتين، الأمر الأول أحبابنا الكرام، النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء قومه قال:

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأنتم صالح الأخلاق

[آخره البزار في مسنده والإمام أحمد]



الكرم صفة عربية أصيلة

وهذا يعني فيما يُعني أن هناك أخلاقياً فطرية كانت موجودة عند العرب، وجاء النبي ليتممها، لا يُيشن أخلاقياً جديدة، أي أنا ما حنت لآخركم بالصدق من جديد، لكن لأعز الصدق عند الناس، والناس عندهم شجاعة، لكن شجاعتهم أحياناً تقودهم إلى التهور، فيتهور وينزل المبادرين من أجل ناقة قتلت، وجاء النبي ليتمم هذه المكارم، فبعدها إلى وضعها الطبيعي، أي الشجاعة لها موضعها، لا تزيد جنباً، ولا تزيد تهوراً، الكرم صفة عربية أصيلة جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليعززها، لا تزيد إسراهاً، لا تزيد تقثيراً، تزيد أن يكون الكرم مرسداً في موضعه، لأن الفضيلة وسط بين طرفين، الشجاعة إن زادت على حدتها أصبحت تهوراً، وإن نقصت أصبحت جيناً، الكرم وسط بين الإسراف والتقير، كل فضيلة هي غالباً وسط بين طرفين، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء ليتمم مكارم أخلاق، إذاً كان عند العرب أخلاق، الذي يصف العرب اليوم يقول: هذه أمة العرب لا حول ولا قوة إلا بالله، لا يا أخي! أمة العرب كانت أمّة لها شأن بين الأمم، أوّلاً: كان عندها فطر سليمة لأنها كانت بعيدة عن مدينة فارس والروم، ودائماً الإنسان الملتصق بالصحراء أو بالبادية يصير عنده صفاء، ما معنى أنه لم يأتني إلا رعي الغنم؟ قال: وأنا كنت أرعاها، صلى الله عليه وسلم، حياة البادية والحياة مع الأغنام تصفي النفوس، حياة المدينة تشحذ النفوس بالعلاقات العامة، يصيغ الإنسان دائمًا مشحوّناً، الحالة الإيجابية تأتي من الحياة الطبيعية، فلذلك شاء الله أن كل نبي رعي الغنم، الحياة مع الأغنام، كان صلى الله عليه وسلم يجلس في غار حراء الليلي ذات العدد، ما الذي كان يفعله صلى الله عليه وسلم في غار حراء؟ كان يتبعد الله، ينظر في آلاء عز وجل، ينظر في خلق السماوات والأرض.

إذاً أحابينا الكرام مكارم الأخلاق موجودة بالنفوس بالفطرة، جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليعززها، والعرب كان عندهم من تلك المكارم، هذا عنترة بن شداد، كان يقول: اليوم في جاهلية القرن الواحد والعشرين لا يغض طرفه إن بدت له حارته، بل يطلق بصره والعياذ بالله، العربي كان يأنف أن يطلق بصره إلى محارم غيره، كان عندهم من المثالب ما عندهم، وبعض المثالب كانت موجودة ببعض القبائل، مثل قضية وأد البنات البعض يطئنها أنها قضية كانت سائدة عند العرب، لا، كانت عند قبيلة من قبائل العرب، كل العرب كانت تند البنات؟ لا، وقصة سيدنا عمر أنه وأد ابنته في الجاهلية مكذوبة لا أصل لها فانتهوا، ما كانت عادة موجودة، موجودة عند بعض العرب، فكان عندهم من المكارم، وكان عندهم من المثالب، لا ينكر ذلك أحد، عندهم من المكارم ما عندهم، وعندكم من المثالب ما عندهم.

هذه أم سلمة رضي الله عنها، لما خرجت صحبتها رجل، قالت: ما رأيت أكرم منه، كانت إذا أرادت أن تنزل من على البعير ينبع لها البعير ويبتعد، فإذا أرادت أن تصعد ينبع لها ويبعد حتى تصعد، عند قضاء حاجتها الأمر نفسه.



الجاهلية كانت تطلق ضد الحلم وليس العلم

إذاً العرب حملوا من مكارم الأخلاق الشيء الكثير، لذلك جاء الإسلام، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم في العرب، فكفانا جلداً للذات، يا أخي الأمة العربية هؤلاء جماعة داحس والغبراء، نعم عندهم مثالب، جاء الإسلام فهذبهم، ونقلهم من رعي الغنم إلى قيادة الأمم، لكن لم يكن العرب أمّة هاملة، الجاهلية كانت تطلق ضد الحلم وليس العلم، انتهوا الجهل يطلق في لغة العرب ضد العلم، ضد الحلم، يقال: جهل فلان عليه، أي لم يحمل، لم يكن حليماً، فالعرب لأن الحلم كان عندهم ضعيفاً، وشون ثائرته لأدنى شيء، فسمي العصر بالعصر الجاهلي، لكن كان عندهم من العلوم ما عندهم، كانت تقام أسواق عكاظ، وسوق المجنة، والأشعار، وكان عندهم علوم، وتفوقوا بكثير من العلوم، لكن يقول قائلهم:

أي إذا مس أحدهم طرفي فأنا العربي الأشم، ابن القبيلة الفلانية، فأثور عليه، فجاء الإسلام وهدب النفوس.

{ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ربكم واحد، وأباكم واحد، وأباكم واحد،>

{ فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتفوّي }

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط والبزار]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا حَلَّنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأَشْنَى وَحَقَّلْتَكُمْ شُعُورًا وَقَاتَلَنَا لَتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ (13)

[سورة الحجات]

أي هذبهم، هذب نفوسهم، لكن كان عندهم من المكارم الشيء الكثير، هذا الأمر الأول.

لما جاء ابن الدغنه وقال: أجبروه، أجراه فوراً، هذه أين تجدها اليوم في القرن الواحد والعشرين؟ قال لهم: عندي، هذا لجوء سياسي من أعظم أنواع اللجوء، اليوم تنتهي الحرمات دون أي إقامة لأى وزن، إن هذا يبلد فلان، أو يبلد فلان، فأجراه فوراً.

ابتعاد الكفار عن القرآن:

النقطة الثانية: كفار قريش قالوا: نحاف أن يفتن سباعنا وأبائنا، يعني آخر، قوله كفار قريش فهموا تماماً أن الحق هنا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَخَدُونَ بِهَا وَاسْتَقْيَّهَا أَعْسَفُهُمْ ظُلْمًاً وَغُلْوًا فَإِنْطَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)

[سورة النمل]

قد تستغرب، فتقول: أين كان عقلاً؟ لماذا لم يؤمنوا؟ كان الواحد منهم يذهب تحت نافذة ليسمع القرآن الكريم، من كثرة ما أطربهم سماعه، ومن شدة ما وجدوا من حلوته. الوليد بن المغيرة لما وصف القرآن وصفه بأحمل ما يصفه ربما أي مؤمن، إنَّ عليه لحلوة، وإنْ عليه لطلاوة، وإنْ أعلىه لمثمر، وإنْ أسفله لمغدق، وإنْ يعلو ولا يعلى عليه، ما هذا الوصف؟! إذاً فهم أنَّ هذا القرآن هو الحق، لكنَّ العيادة بالله لما وجدوا هذا الحق يقضى على مصالحهم، واستنادهم على العيادة، وتحكمهم بالناس، ومصالحهم، وأموالهم، والريا الذي كانوا يفخون عليه، والخلفات الذي كانوا يعيشونه أكروه، بالإكثار لم يأت من فناة، وإنما جاء من مصلحة، فهنا يقولون: إذا جاء أبو بكر وسمعوا القرآن منه سيفتقهم، أي يعلمون لو سمعوا الحق النساء والبنات لآمنوا، ورأوا حلق سيدنا أبي يذكر رضي الله عنه، واستمتعاته بالقرآن، وسمعوا كلام الله، سيفتقنون بزعمهم، والحقيقة آئهم سيهدون إلى الله عز وجل.

قال: ثم بدا لأبي بكر فاستأذن أبو بكر أراد أن يعمل حديقة صغيرة، يجعلها مسجداً ويصلى بها، لم يعد يريد أن يبني داخل بيته، قال: فابتني مسجداً بفناء داره، ويربز به، عمل مسجداً صغيراً مثل شرفه، فكان يصلى فيه، وقرأ القرآن، قسّصَ علىه، أي تدخل عليه نساء المشتركين في بعضهن، وينظرن إليه، وكان أبو بكر رجلاً يكاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، ينظرن إلى سيدنا أبي بكر وهو يبكى، ويفرقونه منظره، فأفرغ ذلك كفار فريش، خافوا جداً، قال: فأرسلوا إلى ابن الدغة، فقدم عليهم، فقالوا له: إنما كان أحجزنا أبي بكر على أن بعد ربه في داره - الشرط في داره - وإنه حاور ذلك فابتني مسجداً خارج داره، فأغلقنا بالصلاوة والقراءة وقد خشينا أن يُعين أباً علينا ونساءنا.



وصاحب السلطة لا يُفتن

لماذا خافوا على أبنائهن ونسائهم؟ لماذا هم لا يفتقنون؟ لأنهم لا يفتقنون؟ لأن يكون طالب حق، هم أصحاب الاستبداد بالعياد، أصحاب السلطة لا يفتقنون، يعرف نفسه، لكن خشوا على النساء والأبناء، لأن الأبناء على الفطرة، والنساء هم يتتحكمون بهم، انظر على من خشوا، خشوا على الأبناء والنساء، هم آمنون على أنفسهم من أن يفتقنوا بكلام الله !!

فقالوا: أَن يَقْتَنِي نَسَاءٌ وَأَبْنَاءٌ، فَإِنِّي أَحَبُّ أَن يَقْتَصِرَ عَلَى أَن يَعْدِ رِبِّهِ فِي دَارِهِ دَلْكَ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَن يُعْلِمَ بِذَلِكَ، فَسَلَّمَ أَن يَرْجُو إِلَيْكُ دَمْتَكَ، فَإِنَا قَدْ كَرِهْنَا أَن نُخْفِرَكَ.
نَحْنُ الْعَرَبُ لَا يَوْجِدُ عِنْدَنَا أَنْ خَفِرَ ذَمَّةً أَحَدٍ، أَيْ لَا نَنْقُضُ الْعَهْدَ، إِلَيْهِ مَا أَنْ يَدْخُلَ إِلَى دَارِهِ فَإِنَّ أَبِي فَاسِلَةَ أَنْ يَرِدَ لَكَ دَمْتَكَ، تَنَاهِلْ حَتَّى تَعْرِفَ عَمْلَنَا مَعَهُ.

فإنا قد كرها أن نحقرك. وليسنا مُقْرِّبين لأبي بكر الاستعلان، أن يعلن صلاته وقراءته، قالت عائشة رضي الله عنها: فأنت ابن الدغنة أبا بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك، أنا بيني وبينك عقد معهم، فإما أن تقتصر على ذلك، ضمن الاتفاق، وإما أن تزوج إلى ذمتي، فإني لا أحب أن تسمى العرب أني قد أخفرت في رجل عقدت له، لا يناسيني أن يقال إني عاهدت رجلاً ثم نقض العهد، هذه من أخلاق العرب، أي الكلمة كلمة، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فإنني أرد إلىك جوازك، وأرضي بجوار الله، جاري الله.



الله عز وجل جار لمن لا جار له

أخواننا الكرام؛ الذي يجعل الله عز وجل جاراً له يجبره من كل شيء، حاشاه أن تستجير به ولا يجبرك، لكن ربنا عز وجل يمتحن، جواره عزيز، الله من أسمائه العزيز، فقد تستجير به أحياًًاً ويمتحنك في مالك، في أهلك، في ولدك، ليرى هل أنت تستجير به حقاً أم مصلحة؟ عندما يرى منك أنك تستجير به حقاً، والله إن الله عز وجل جار لمن لا جار له، فربنا عز وجل كريم لكنه عزيز، فجواره يحتاج إلى بذل، أي لا ينال جانبه، العزيز لا ينال جانبه.

سيدنا أبو بكر في هذه اللحظة قال له: ردت لك جوارك، أنت لم تعد تستطيع أن تحتمل أكثر من ذلك، لكن أرضي بجوار الله، أنا في جواره، فكيف كان جوار الله لأبي بكر؟ مضت 1400 سنة ونحن نجلس في هذا المجلس فنترتضى عنه، رضي الله عنه، ومضت 1400 سنة وما زال ملوك المسلمين يتمنون اللحظة التي يمرون بها من أمام قبره حتى يقولوا بعد سلامهم على رسول الله: السلام عليك يا أبي بكر، هذا جوار الله، الذي يجبره ربنا عز وجل يبقى ذكره إلى أبد الآبدين، يخلد ذكره بالعمل الصالح، بالبذل، بالتصحية.

أخواننا الكرام: تتبعي جوار الله، ربنا عز وجل كريم وجواره عزيز، ومن أجراه الله فقد أجراه.
فقال له أبو بكر: فإنني أرد إلىك جوازك، وأرضي بجوار الله، هذا الموقف الذي أحببت أن أقف عنده.

أبو بكر صاحبي جليل وهو خير الناس بعد رسول الله:

لكن بختان سيرة أبي بكر أحب أن أعلق على شيء مهم جداً جداً، سأذكر النصوص وستفهمون مقاصدي من النصوص.

محمد بن الحنفية بن سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت لأبي أي لعل رضي الله عنه: أى الناس خير بعد رسول الله؟ قال سيدنا على بن أبي طالب في صحيح البخاري سأله ابنه أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، فـأى شخص اليوم يثير خلافاً بين صحابة رسول الله، أو يبني عقيدته على وقوفه في صفحه صاحبي دون صحابي فهو بذلك يخالف قول هذا الصحابي الجليل.



خير الناس بعد رسول الله أبو بكر

سيدنا علي يقول: خير الناس بعد رسول الله أبو بكر، قال: قلت: ثم من؟ قال: عمر، يقول محمد بن الحنفية: خشيت أن يقول في الثالثة عثمان، قال: قلت: ثم أنت؟ ابن يحب أن يكون أبوه خيراً من في الأرض، هذه فطرة، قال: قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين، أى تواضع سيدنا علي بن أبي طالب تواضع عجيب، وفهمه أن لسيدنا أبي بكر في الإسلام مكانة عظيمة، فـأى إنسان يحاول أن يشوّش هذه العلاقة، أو هذه المكانة فكلامه مردود عليه، هذه واحدة.

يقول علي رضي الله عنه، الآن القول لسيدنا علي، قال: كنت إذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثاً تفعني الله بما شاء أن يتفعني منه، وإذا حدثني غيره استحلفتة، أي إذا الحديث فوراً من رسول الله أخذه وأعمل به، إذا جاء أحد قال: قال رسول الله، أقول له: أستحلفك بالله هل قاله رسول الله؟ فإن حلف صدقته، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، أبو بكر لا يستحلف عند سيدنا علي، لأنه الصديق، قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **ما من عبد**

يذنب ذنباً ويتوضاً ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر لذلـك الذنب إلا غفر الله له}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا قَاتَلُوا فَاجْتَهَدُوا أَوْ طَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَإِنْتَهُمْ لَذُنُوبُهُمْ وَمَنْ يَعْفُ عنِ الذُّنُوبِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(135)

[سورة آل عمران]

هذا حديث يرويه سيدنا علي عن سيدنا أبي بكر ويقول: صدق أبو بكر.

جعفر الصادق رضي الله عنه يقول لسالم بن أبي بكر وعمر ما رأيك أبي بكر وعمر؟ فقال: يا سالم تو لهمما وابرا من عدوهمما، جعفر من آل البيت، رضي الله عن أهل البيت جميعاً، قال: تو لهمما وابرا من عدوهمما، فإنها كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: يا سالم ! أيسب الرجل جده؟ هل هناك رجل يسب جده؟ أبو بكر حدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيمة إن لم أكن أن تو لهمما وابرا من عدوهمما، يدعوه على نفسه لا تناه شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن لم يوال أبي بكر وعمر، ويترا من أعداء أبي بكر وعمر، هذا الكلام لجعفر الصادق رضي الله عنه.

فضل أبي بكر في نصر الدين الإسلامي:



الإيمان يحتاج إلى وقت ليتعزز بالنفس

أخواننا الكرام : كما تعلمون سيدنا أبو بكر لما ولـى الخليفة - نعيـد هذا للتذكر- جاءت حروب الردة، يقال: إن أبي بكر حمى الدين بحرـب الردة، أي الله عز وجل نصر به الدين، حروب الردة لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارـتدت بعض الأحياء، الإيمـان أخوانـا الكرـام يحتاج إلى وقت ليتعزـز بالنـفوس، وأحيـاناً لـما توسعـت الدـولة الإسلامية صـار لها شأنـ كبير، قد يدخل بعض الناس للـدين مصلـحة أو رـهـبة، يـحدث ذلك في كل عـصـر، وفي كل مـصـرـ، أثناء ضـعـفـ المـسـلـمـينـ لا تـجدـ مـنـافـقـينـ، اـنـطـرـواـ فيـ الـآـيـاتـ الـمـكـيـةـ فيـ الـقـرـآنـ، هـلـ تـحدـثـ اللـهـ عـنـ الـمـنـافـقـينـ فيـ أـيـ آـيـةـ مـكـيـةـ؟ـ أـبـدـاـ، لاـ يـوجـدـ مـنـافـقـونـ يـمـكـنـ، لـمـاـ يـافـقـ؟ـ الـمـسـلـمـونـ يـسـامـونـ سـوـءـ الـعـذـابـ، هـلـ مـنـ أـحـدـ يـدـعـيـ الـإـسـلـامـ نـفـاقـ؟ـ لـكـ مـنـ ظـهـرـ الـمـنـافـقـونـ؟ـ عـندـمـاـ بـنـتـ الـدـولـةـ، يـصـرـ هـنـاكـ مـكـاـسـبـ، وـنـفـاقـ، لـكـ عـنـدـمـاـ توـسـعـتـ الـمـكـاـسـبـ أـكـثـرـ وـأـكـثـرـ، وـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـ صـارـ لهاـ شـأنـ، وـرـاـكـ يـسـيرـ لـأـخـافـ شـيـئـاـ، وـأـمـنـ الـطـرـيقـ، وـصـارـتـ دـوـلـةـ الـإـسـلـامـ قـوـيـةـ، هـنـاكـ مـنـ دـخـلـ بـالـإـسـلـامـ رـغـبـةـ بـالـغـنـائـمـ، أـوـ رـهـبةـ، قـوـةـ الـإـسـلـامـ تـرـهـبـ الـبـعـضـ، فـلـمـ مـاتـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـرـتـدـتـ بـعـضـ الـأـيـاءـ، لـكـ لـيـسـ بـالـحـجـمـ الـذـيـ يـوـصـفـ أـحـيـاـنـاـ فيـ كـتـبـ الـتـارـيخـ أـنـ مـعـظـمـ الـعـربـ اـرـتـدـواـ، لـاـ، مـعـاذـ اللـهـ، إـذـ قـلـتـ ذـلـكـ كـانـكـ تـحـكـمـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ بـهـذـاـ الـحـجـمـ بـالـفـشـلـ!ـ أـهـمـ اـرـتـدـواـ، لـاـ لـيـسـ هـكـذـاـ، الـعـضـ مـاـ فـهـمـواـ، كـانـواـ بـعـطـوـنـ الزـكـاـةـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
(103)

[سورة التوبة]

الإسلام ما قال: أعطوا صدقاتكم، قال: (خُدْ) هذا حق، والحق يؤخذ، أي على الحاكم أن يرسل فرقاً تجمع الزكاة، هكذا ينبغي (خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ).



الزكاة ترکو بها النقوس

فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، بعض أحياء العرب أيضًا قالوا: لا نعطي الزكاة، كنا نعطيها لرسول الله، والآن مات رسول الله، لم يعد هناك زكاة، بعبارة حديثة اليوم، بالمجتمع الحديث، الدولة المدنية هذا اسمه: تمرد على الدولة، امتناع أحياء كاملة عن دفع مستحقات الدولة المالية، لا يوجد دولة في الأرض تقبل اليوم أي دولة لأقوى دولة تقبل أن يمتنع الناس عن دفع الضرائب طليقاً مع الخلاف بين الضريبة والزكاة، الضريبة من الضرب، الزكاة ترکو بها النقوس، لكن نحن نقارن حتى نفهم الذي صار، فلا تقبل دولة أن يمتنع الناس عن دفع مستحقاتهم، ومستحقات البيوت، ضريبة المبيعات، ضريبة الدخل، إلى آخره، ثم لا تسير الجيوش للحرب، هذا خط أحمر، فلما امتنعوا عن الدفع، الآن قال: عندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر قال عمر: هنا عمر فهم المسألة فهماً آخر، مع أنها نفهم أن شخصية سيدنا عمر أقوى، لكن انظروا ماذا قال لسيدنا أبي بكر أيضًا؟ قال عمر: يا أبي بكر تفائل الناس؟

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا تُؤْكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَايِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: <إِنَّمَا يُرِثُ أَنْ أَفَاتَ الْمَنْ إِلَّا الَّذِي يَرْجُونَ> أَمْرَثَ أَنْ أَفَاتَ الْمَنَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَاتَهُ عَصَمَ مِنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَجَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا يُقَاتِلُنَّ مَنْ قَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ <إِنَّ الزَّكَاةَ حُقُّ الْمَالِ>، فَإِنَّ الْمَالَ لِلَّهِ كَانُوا يُؤْدِونَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلُوكُمْ عَلَى مَنْعِهَا <فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقَاتَالِ> فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ اللَّهَ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقَاتَالِ فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ الْحَقُّ }
آخره البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى ومالك

سيدنا عمر يذكره أن هؤلاء لم يكفروا، إذاً هذه ليست ردة، أي معظم الناس لم يرتدوا لكن هذا فهم مغلوط لفريضة الزكاة (فقال أبو بكر: والله لَا يُقَاتِلُنَّ مَنْ قَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) لا يوجد حل وسط (والله لو مَغْنُونِي عَنِاقَا كَانُوا يُؤْدِونَهُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلُوكُمْ عَلَى مَنْعِهَا) سيدنا أبو بكر لم يتهاون قال (فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرحاً صدر أبي بكر للقتال) فهم على سيدنا أبي بكر حمي الإسلام إلى يومنا هذا، لأن دولة الإسلام قائمة، ويجب، ألا يتمرد شخص على دفع المستحقات، هذه هي حقيقة حروب الراية تماماً، حتى لا يفهم البعض أن حروب الراية هي إكراه لنا على دخول الدين، لا أحد أكره أحداً، فهم مسلمون، لكن امتنعوا عن أداء الحقوق، كل العالم يسرّ الجيوش لحرب من يمتنع عن أداء الحقوق.

الإسلام دعوة إلى الله ولم ينتشر بحد السيف:

الأمر الأخير أخواننا الكرام حتى يتضح معنى الحديث: (أمرث أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) البعض يفهم من هذا الحديث أنه إكراه، يقول لك: كيف؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ> فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاهِرَاتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْغُرْوَةِ الْوُقْفَى لَا اِنْصَاصَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

[سورة البقرة]

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فيفهم الحديث فهماً مغلوطاً (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) الإسلام لم ينتشر بحد السيف وكل النصوص تؤيد ذلك، وكل الواقع تؤيد ذلك، الإسلام دعوة إلى الله عز وجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ أَيْمَنِكُمْ
فَمَنْ شَاءَ فَلَيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِكُفْرٌ> /span> إِنَّا أَعْنَدْنَا لِلظَّالِمِينَ تَارًا
أَخَاطَهُمْ سُرَادُفُهَا وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُمَاءِ كَالْمُهْلِ تَسْوِي الْجُحْوَةَ يُسْسَنَ السَّرَابُ وَسَاءَهُ مُزْرَقًا (29)

[سورة الكهف]

الحساب عند الله، لم يجبر أحد على الدخول أحياًنا الكرام، أنت لا تستطيع أن تقنع الناس بغيرك، وأن يعتنقوا بالقوة، لأن أول فرصة تتاح له يحارب الفكر الذي أنت أقنعته إياه بالقوة، حتى السلوك ليس كل السلوكات تستطيع أن تقنع الناس فيها بالقوة، اليوم هل تستطيع أن تقنع الناس الصيام بالقوة؟ يدخل إلى بيته ويختبئ ويشرب ماء، هل تستطيع أن تلزم الناس بغض البصر بالطرقات؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَغْيُنِ وَمَا تُحْفِي الصَّدُورُ (19)

[سورة غافر]



الفكر لا يفرض بالقوة

لا يستطيع أحد أن يلزمك، إذا كانت كثير من السلوكات لا تفرض بالقوة، فكيف يفرض الفكر بالقوة؟ الفكر لا يفرض بالقوة، أن يسلم إنسان بالقوة ما معنى الحديث أنه **(أمرث أن أقاتل الناس)**؟ أول شيء: أقاتل فعل مشاركة، قاتل، هذا بمعرض القاتل في المعركة، وليس في ميدان السلم، ميدان الحديث المعركة وليس السلم، القاتل أي يوجد طرفان ثم الناس، هل هم كل الناس؟ لا، الناس المقاتلون أو الصادرون عن دين الله، قال تعالى في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشُوْهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ وَيَعْلَمُ الْوَكِيلُ (173)

[سورة آل عمران]

من **(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)** كل الناس؟ لا، **(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)** هؤلاء أربعة أشخاص، واحد منهم كان أبو سفيان **(إِنَّ النَّاسَ)** قريش **(قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)** فالناس ليست معناها كل الناس، وإنما معناها حسب النصوص **(أمرث أن أقاتل الناس)** أي المقاتلين المعتدلين، أو الصادرين عن سبيل الله الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس، هنا **(أمرث أن أقاتل الناس)** حديث النبي **(حتى يقولوا: لا إله إلا الله)** حتى يقولوا: لا إله إلا الله؟ أي هدف القاتل أن يقولوا لا إله إلا الله؟ لا إذا قلت لك: ادرس حتى تنجح، أي هدف الدراسة تحقيق النجاح، حتى هنا للتعليل، أي ادرس لنجح، لو قلت لك: ادرس حتى المساء فهل هدف الدراسة أن يأتي المساء؟ لا، في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا لَنْ تُنْتَخَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (91)

[سورة طه]



دينا يُقاتل المعذبين

هل نريد أن نعکف على الأصنام من أجل أن يرجع موسى أم نحن نريد أن نعکف عن الأصنام إلى أن يرجع موسى؟ بل المعنى الثاني، أي قتال الناس لا ينبغي أن يكون إذا قالوا: **(لا إله إلا الله)** إذا بالمعركة أنت تقاتل إنساناً، والإنسان قال لك: **(لا إله إلا الله)** ولو قالها بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه توقف فوراً، انتهى القتال، لكنك لا تقاتله ليقولها، تقاتله لأنه معذب، تقاتله لأنه لا يسمح للناس أن يدخلوا في دين الله، تقاتله لأنه يصد عن سبيل الله، لست تقاتله ليقولها، لكن لو أنه قالها فلا يجوز أن أقاتلها أبداً، هذا معنى الحديث فقط **(لا إكراه في الدين)** يا أحبابنا الحديث لا يدل أبداً على ولكن البعض يفهم خطأ، يقول لك: دينكم يقاتل الناس حتى يشهدوا، ديننا لا يقاتل الناس من أجل أن يشهدوا، ديننا يقاتل المعذبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ > وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)

[سورة البقرة]

ويقاتل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<الَّذِينَ يَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ > وَيَبْغُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45)

[سورة الأعراف]

الذي يقول لك: ممنوع تدعُ الناس إلى الله، لا، الناس من حقهم أن يصل إليهم صوتنا، لكن إذا قال إنسان: **(لا إله إلا الله)** فممنوع قتاله، ولو قالها بلسانه، قال: لما جيء النبي صلى الله عليه وسلم برجل مقتول، قال: إنما قالها لينجو من القتل؟ قال: شفقت على قلبه؟ ممنوع، قال الرجل **(لا إله إلا الله)** حوفاً، انتهى حتى نتر ونقطع أي شيء يؤدي لقتل إنسان معصوم، الإسلام يحمي النفوس.

تلخيص لما سبق:

سيدينا أبو بكر حارب حروب الردة للانتصار للإسلام، وإعادة الناس إلى جادة الصواب، وبالفعل حمى الله به الدين إلى يوم القيمة، وحروب الردة كما قلنا: لم تكن حروب ردة بالمعنى الحرفي للكلمة، بمعنى أن مجموعة كبيرة من الناس ارتدوا، وإنما فوضى حصلت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعاف الإيمان، أغليهم امتنعوا عن دفع الزكوة فأعادهم أبو بكر رضي الله عنهم إلى جادة الصواب، وحمى دولة الدين إلى قيام الساعة.

والحمد لله رب العالمين